حب آخر

للمرة الأولى بدأ الشك يساورها بأن شيئًا ما كان خطأ، وقفت أمام المرآة تتحسس نهديها من فو ق ثوبها الخفيف ثم خلعته وأطالت النظر على جسدها العاري، ومن هنا بدأت تتجمع سحب التعاسة فو ق ملامحها،لابأس فبعض مساحيق التجميل قادرة على صنع ملامح أخرى برغم أنها جميلة وليست بحاجة لكل هذه المساحيق المنثورة على طاولتها الصغيرة..

أحمر شفاه صارخ،الكثير من الكحل الأسود،تسريحة شعر غجرية تشبه ملامحها..عطر برائحة أزهار الغابة وأخيرًا ثوب أسود أكثر خفة من ذي قبل يفضح مفاتنها وتفاصيل جسدها الصغيرة.. حذاء ذات كعب عالي ورفيع..خطوات مثقلة نحو الباب نصف لفة للمقبض ثم تراجعت ركضًا نحو الفراش حيث الهاتف..، ومن بين قائمة الأسماء هاتفت رقم، بلا اسم وانتظرت الرد..

بصوت مرتعش: سرمد لا أستطيع الخروج لا أستطيع تحمل نظراته السخيفة أشعر بالاستياء العميق من نفسي وفي كل مرة يقتلني ذلك الإحساس الذي يهاجمني بقسوة تفقدني أنفاسي..أرجوك افعل شيئًا من أجلي حياتي بأكملها انقلبت رأسًا على عقب ولست بصدد اتخاذ قرارًا أحمقًا

الآن،أريد أن أعيش كما يعيش الناس العاديين لما كل هذا السكوت الذي يعتريك أرجوك تكلم...

- وهل أنتِ عادية يا دارين؟! أنا وأنت نزحف حول حافة ذات الصحن ولا نتذوق منه شيئًا..نتكلم سويًا لكي نجعل هذا الألم المبرح محتملًا،أعلم ما تعانيه تمامًا وأن عاصفة من الأفكار السيئة سحقت مخيلتك مما يجعلني أفقد الحس ويخيل لي أنني أبكمًا..

- سرمد أرجوك أنا في حالة مُزرية وكلما هاجمني بنظراته أرى في نفسي القاع القبيح الذي لطالما هربت منه كثيرًا كي لا أراه، أحبك أنت وأنت تعلم

-، ولكن هذا زوجك....

-تلك الزائفة الكبرى التي أعيش فيها مرارًا وتكرارًا الدائرة المغلقة التي لا سبيل للخروج منها أبدًا أخبرني بربك لما أنا هنا الآن في هذه الغرفة الكئيبة ثم إنني بعد قليل سأكون بين أحضان رجل آخر غيرك وأنا...

- إهدار أنفاسك ليس بالأمر الجيد كما أن هذا الحديث أخذ من أنفاسي الكثير.. دارين اشتريت لك بروازًا مزخرفًا بالحروف الأندلسية أعلم انك تعشقينها سأضع فيه آخر صورة التقطناها سويًا أتذكرينها؟

- نعم أذكرها بالتأكيد حيث كنا.... سرمد ألا ترى أن هذا الوقت غير مناسب أبدًا للذكريات.

-آه منك أردت فقط أن أخرجك من عتمتك، ولكن من الواضح أنك لا تريدين الخروج منها الآن، وأظن أنه بالخارج ينتظرك أتمنى لك ليلة سعيدة..

-سرمد...ألو أرجوك لا تغلق الهاتف....سرمد تبًا لك..

"السادسة مساءً في ذات المكان " حروف رسالتها له قبل إغلاقها للهاتف..نفس عميق ثم خرجت من الغرفة حيث آدم متدلي على الأريكة وسحابة من الدخان تحوم من حوله..موسيقى هادئة، إضاءة شبه خافتة..ابتسمت هي على نحو غامض تحاول جاهدة استفراغ الكلام من أحشاءها، ولكن دون جدوى..

بصوت ثمل أهلكه الخمر..

- دارين لايجب أن يكون فستانك أطول من ذلك،أحمر شفاتك، بلون مختلف هذه المرة،منذ متى وأنت تضعين الألوان الصارخة، ثم إن عطرك أربكني.. والكحل في عينيك يصرخ من شدة الفتنة أبحق الرب كل هذا لي أم أنك أخطأتِ العنوان أنا آدم... آدم... آدم..احفظي هذا الاسم جيدًا ولا تجعليه يفارق مخيلتك.

- آدم أنا.....

-ثوبك الشفاف هذا لايناسب مزاجي الآن اخلعيه.. كعب عالي!!، أريدك حافية القدمين..، بل وحافية من الذكرى أيضًا..ثمة نساء تشبه الأفاعي الناعمة، وهي تزحف على الرمال، لاتفكرين، بل إياك أن تفعلي، والآن اذهبي لغرفتك فمزاجي لا يحتمل مضاجعة أنثى عابسة..

- هل من شيء آخر نسيت أن تقوله؟
- غدا ستصلك مجموعة من الفساتين باهظة الثمن، زيني بها خزانتك
-أتعلم أنك فقير الروح،وعقلك أضيق من حذائي
-ذكريني أن أصفع وجهك في الصباح لأنني الآن ثمل..ثمل للغاية..

عودة إلى غرفتها الصغيرة..جلست على حافة الفراش وأخرجت من تحته صندوق صغير مليء بالرسائل.. رسالة فرسالة تقرأها كلمة كلمة،ثم تنهيدة عميقة وابتسامة، فهي تتقن الهرب من التعاسة إلى السعادات الصغيرة بين كلمات الرسائل القديمة التي تمنحها رئة ثالثة..

الهاتف أحد المعجزات الصغيرة التي تسمح لصوته بالعبور إليها.. للمرة الثانية في ذات اليوم هاتفته:

- كنت اقرأ رسائلك القديمة فشعرت أنني كالطير الذي ينفض أجنحته بين خيوط الشمس اشتقت لصوتك اشتقت لك
- أتممتم المهمة في هذه الليلة أسرع من كل مرة،ما الذي حدث؟
-لا شيء إنه ثمل للغاية كما أنني عابثة الوجه، وهو لايطيق مضاجعة العابسات..
- ياله من أحمق.

-سرمد توقف، لا أريد الانغماس في هذا الحديث مجددًا
-إذن أرتدي ثوبًا من القماش الثقيل الخشن تكفيرًا عن خطاياك..
- هل ستأتي غدًا أم ستفعل كما تفعل في كل مرة
-سأفعل كما أفعل في كل مرة فرؤيتك تقتلني لا أريد قتل نفسي مرتين الأولى عند رؤيتك والأخرى عند عودتك من حيث أتيت..
-أشتاقك
-لا أعرف لما كل هذا الإصرار على أن نكون كائنات تعسة..فأنا لا أستطيع أن أتجنب رؤيتك معه.. غبار الانتظار يطارد رئتي فأينما ذهبت أستنشقه، وكلما ابتعدت عنك أقع تحت وطأة الحنين فلا مفر منك إلا ويصلني إليك..صوتك بات يجرحني وبطريقة ما أصبح كلا منا يفسد حياة الآخر.
-هل يعني ذلك أنها المحادثة الأخيرة بيننا؟ لا داعي للإجابة كنت أعلم مسبقًا أن لحظات الفرح المعلقة على الأبواب المغلقة تسقط في ذات الوقت الذي نجد فيه المفتاح!!